م.د. رئام صاحب علي

Reaamsali90@uomustansiriyah.edu.iq

التوجه الاستعماري الاوربي نحو بلاد الشام خلال الحكم العثماني

بعد معركة مرج دابق ١٥١٦م سار جيش السلطان سليم الأول فسيطر على بلاد الشام بما فيها منطقة جبل لبنان، وآزر أغلبية أمراء جبل لبنان السيطرة العثمانية على بلاد الشام وكان على رأس المؤازرين فخر الدين الأول، لذلك ولاهم السلطان العثماني على اقطاعياتهم وأوكل فخر الدين الأول نيابة عنه لرعاية شؤون هذه المناطق، وكان سعيه الدائم للتخلص من دفع الجزية العثمانيين سبباً في إثارة سخطهم . فكان قرارهم الحكم المباشر لمنطقة بلاد الشام، مما دفع بملاكي الأراضي اللبنانيين والفلاحين لمقاومة هذا القرار، ففي قصر ومجلس باشا دمشق توفي فخر الدين بالسم، ومن بعده قتل ابنه قرقماس في عام 1585 خلال مقاومته للعثمانيين ثم تبوأ فخر الدين الثاني نجل قرقماس الحكم نهاية القرن السادس عشر، وكان سياسياً محنكاً وحاذقاً متقنعاً بالدرزية حيناً وبالمسيحية حيناً بحسب حاجته، نال رضا السلطان العثماني بدفعه الأتاوي وخاض المعارك وانتصر وأرسل قسماً من الغنائم للسلطان، لذلك ولاه على لبنان وأجزاء من وفلسطين سوريا، وعندما عُين حاكم جديد في عكا (عبد الله باشا) فرض الإتاوى الكبيرة على جبل لبنان، فكان ذلك سبباً لإثارة غضب الفلاحين الذين رفضوا دفع الأتاوي لبشير الثاني فكان عاجزاً عن تحصيل الاتاوى المطلوبة، لم يستطع إحكام الأمور في قبضته فأرسل لأمير جنبلاط لمساعدته، فرّ بشير الثاني إلى مصر هارباً عام 1822م وتولى الجنبلاطيون زمام الأمور فعلياً. ما برح بشير أن عاد ونكل بأعدائه، وفي عام 1831م سيطر محمد علي على جبل لبنان، وكان بشير مؤيداً له حتى عام 1840م حيث اضطر لمغادرة جبل لبنان إثر ثورة فلاحية حدثت ضده وضد الحكم المصري.

عزل بشير الثاني فعاد ملاكي الأراضي الدروز ، فتصدى لهم الموارنة الذين استوطنوا في أملاك الدروز، مما أثار المشكلات التي سمحت للأوربيين التدخل فناصرت فرنسا الموارنة بينما دعم الإنجليز الدروز، وفي تشرين الأول من عام 1841م أنتفض ملاكي الأراضي الدروز ضد بشير الثالث الذي عينته السلطة العثمانية، كان النصر للدروز فقرضوا سلطانهم في جنوبي لبنان، وأسفرت تلك الانتفاضة عن مجازر ومذابح كثيرة.

بعث السلطان العثماني جيشه لجبل لبنان فأبعد بشير الثالث عن السلطة وأمر بتحويل امارة جبل لبنان إلى ولاية عثمانية كسائر الولايات وولي عمر باشا عليها فكانت أولى أعماله وضع حد للدروز لذا أرسل ثمانية من شيوخها إلى سجن بيروت مما أفسح المجال أمام الموارنة للعودة إلى جنوبي لبنان.

تدخلت القوى الأجنبية في جبل لبنان مما دفع واليها العثماني لإجراء تصويت لإدراك رغبة السكان فحدث ذلك عام 1842م في فصل الصيف، فكانت نتيجته الموارنة يرغبون بحاكم من اسرة آل شهاب بينما أظهر الدروز ميلهم للحكم العثماني المباشر، ومع كل هذه الاجراءات لنيل رضا السكان إلا أنهم احتجوا مجدداً في تشرين الأول من نفس العام رفعين عدة طلبات منها إطلاق سراح الشيوخ وإناطة عمر باشا عن الحكم، فقام عمر باشا بالقضاء على الاحتجاجات وأمر بإحراق قصر آل جنبلاط .

وخلال المدة (1915 – 1918م) حدثت المجاعة في بلاد الشام وحصدت أرواح خلال الحرب العالمية الأولى حيث ضربت المجاعة مناطق بلاد الشام الخاضعة للاحتلال العثماني والتي حظيت بالوالي العسكري جمال باشا السفاح، وكانت لبنان جزءاً من بلاد الشام، سببها إهمال جمال باشا السفّاح للمجال الاقتصادي واجراءاته العسكرية، فقد صادر المحاصيل الزراعية والأملاك لخدمة المجهود الحربي، فهرب سكان القرى للغربة خوفاً من التجنيد الإجباري، وترافق ذلك مع ظهور أسراب من الجراد وراح ضحيتها الآلاف السكان من سورية، بينما في جبل لبنان توفي ثلث السكان نتيجة الجوع .

وفي 16 ايار 1916 وقعت اتفاقية سايكس بين مندوب بريطانية مارك سايكس Markesوالفرنسي Francois Picot تقضي بتقسيم مناطق المشرق العربي التابعة للدولة العثمانية فيما بينهما. اتفاقية فرنسية وبريطانية بتأييد من الامبراطورية الروسية والإيطالية هدفها تقاسم مناطق الهلال الخصيب. وبالأخص لتحديد مناطق النفوذ غرب آسية لاقتسام أملاك الدولة العثمانية، فمهدت الطريق لسلسلة من الاتفاقيات السرية، لذلك انتهزوا فرصة التوافق الثلاثي الذي سيعمل على هزيمة الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ولذلك حدثت تسوية أولية سرية فنتج عنه وفاق استمر بين 23 تشرين الثاني لعام 1915م و 3 كانون الثاني لعام 1916م ، وهو التاريخ الذي وقع فيه الدبلوماسيين الفرنسي والبريطاني على وثائق مذكرات تفاهم بين الوزارات الخارجية في كل من فرنسة وبريطانية وروسية القيصرية آنذاك وتم تصديق الاتفاقية في حكومات البلدان في التاسع والسادس عشر من أيار لعام.